(08) . المشكلة الرابعة [تاريخ الفلسفة المعاصرة]

كيف عبّر الفكر الفلسفي المعاصر عن الهموم الأنطولوجية والروحية للوجود الإنساني، وكيف دعا . على أساسٍ من تحليل الظواهر وتوضيح الأفكار . إلى نبذ ما وراء ذلك الوجود، والتحوّل نحو ما يميّزه من علم وعمل نافع ؟

***

مقدمة : طرح المشكلة

الوضعية المشكلة وتحليلها :

I. كيف عكست الفلسفة المعاصرة قلق الإنسان في الوجود ونزوعه إلى تجديد طاقاته الروحية؟

أولا : التعبير عن عمق معاناة الإنسان إزاء الوجود

1 . من الإنسان المتعالي إلى الفرد المتمرّد؛

2 . الوازع الوجودي مقابل انحراف الثورة الصناعية.

ثانيا : النزوع إلى تجديد الطاقة الروحية للإنسان

1 . الحدس من حيث هو تطوّرٌ خلاّقٌ؛

2 . الشخص تجربة ذاتية وروحية.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

II . كيف اهتمت الفلسفة المعاصرة بتحليل وجود الإنسان من خلال الشعور وظواهره، والفكر وتعبيراته، بمنأى عن كلّ ما هو ورائي؟

أولا . تحليل وجود الإنسان من خلال الشعور و ظواهره

1 . القصدية كمنهجٍ جديدٍ للمعرفة؛

2 . الإنسان والظواهر المتكثّرة.

ثانيا . تحليل وجود الإنسان من خلال الفكر و تعبيراته

1 . تفكيك اللغة ضد الماورائية؛

2 . التحليل المنطقي توضيحٌ للأفكار.

III . وكيف مارست الفلسفة المعاصرة أخيرًا، القطيعة مع تأمله الذاتي لوجوده، بتقديرها للعلم و ما ينتج عنهمن أثرٍ نافع ؟

أولا : العلم كبديل عن تأمل الوجود و ترف الفكر

1 . من مبادىء العلم الجديدة : النسبية و الاحتمال ؛

2 . تخطّي العلم للنظرة السابقة: القطيعة مع التراكم لا مع البناء.

ثانيا: العمل النافع كأساس لفهم الوجود الإنساني

1 . من معيار الفكر إلى معيار العمل ؛

2 . الذرائعية فلسفة للحياة و الإنسان.

خاتمة : حلّ المشكلة.

تطبيق : نص فلسفي

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

مقدمة : طرح المشكلة

إنّ ما يشغل التفكير الفلسفي المعاصر بشكل أساسي، هو ذلك التنوع من القضايا الذي نجد في ثناياه تساؤلاتٍ تتعلّق بالوجود الإنساني من حيث هو معاناة، ومعرفة وقيم ؛ ومن أهم هذه التساؤلات :

. ما مهمة الفلسفة في عصرأصبح السؤال الأهم هل للحياة معنى، وهل هناك خطة للحياة ؟ في ظل ما ميّز هذا العصر من هيمنة للعقل ورد فعل قوي على الفوضى والخرافة والميتافيزيقا وطغيان الفكر المادي. وهل بإمكان الإنسان أن يتحكّم في مصيره بإرادته. فيجب إزالة الغشاء الذي أحاط بالفلسفة وأبعدها عن واقع الإنسان من حيث الفكر والعمل، ففُسح المجال لظهور فلسفات جديدة أخذت على عاتقها تحرير الإنسان من ربقة الأنساق الفلسفية المجردة المتعالية التي أفقدته أبعاده الروحية والإيمانية، وهذا ستحاول الصفحات اللاحقة الإجابة عنه.

I. كيف عكست الفلسفة المعاصرة قلق الإنسان في الوجود ونزوعه إلى تجديد طاقاته الروحية؟

أولا : التعبير عن عمق معاناة الإنسان إزاء الوجود

إنّ المتتبع لتطور الفلسفة المعاصرة يلاحظ أنّها أصبحت تعايش ما يعيشه الإنسان المعاصر من أزمات عميقة تكاد تعصف بكيانه بمختلف أبعاده من الوجود المطلق إلى الوجود الواقعي العيني، من الإرادة المطلقة إلى محدودية القدرة الإنسانية من الفكر المادي إلى الطاقة الروحية والدافع الحيوي، فهي كلّها؛ عزيزي الطالب؛ وجهات نظر جديدة للتعبير عن معاناة الإنسان و واقعه المعقد. وسنحاول

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الإجابة عن بعض هذه التساؤلات من خلال عرضنا لأهم التيارات الفلسفية في الفكر المعاصر.

1 . من الإنسان المتعالي إلى الفرد المتمرّد

إنّ أهمّ ما يميز الفلسفة المعاصرة هوالنظرة البائسة والسوداوية المتشائمة واللاجدوى للحياة كما يتصوّرها كثيرٌ من الفلاسفة الوجوديين[1] الذين عبّروا عن هذه المعاناة بأشكال وتصورات متعددة بداية من ملهم الوجوديين " كيركجورد"[2] التي أودعها كتابه "إما ... أو.."، والتي تأثّر بها كثيرٌ من أتباعه من الفلاسفة والأدباء. يقدّم " كيركجود" في هذا الكتاب نمطين أو مستويين من الحياة : المستوى الجمالي Mode de vie Esthétique ويبحث فيه عن إشباع اللذات والرغبات ومطاردة هاجس الخوف والقلق والذي سيتعرض له لاحقًا، بينما يتميّز المستوى الأخلاقي :Mode de vie éthique بالحس الأخلاقي والواجبات اللامشروطة والشعور بالمسؤولية والقيام بالواجبات الدينية[3][...]، وأهم مرتكزات التشاؤم المشروع لمصير الوجود الإنساني حين تنهارالقيم التقليدية المبنية على ثلاثية العقل والمجتمع و الدين.

كيركجودر 1813 – 1855

أ . تقوم الفكرة الوجودية على

---

[1]. وكذلك الأمربالنسبة للشعراء والموسيقيين من أمثال "شوبرت" و" شوبان" و "بتهوفن".

[2]. سورين كيركجورد Keirkegaard Soren(1813 – 1855).

[3]. وهو يمثّل الفلسفة الوجودية المؤمنة (المسيحية) إلى جانب "غابريال مارسيل" و "كارل ياسبرس" .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

أسطورة سيزيف

لاعقلانية الوجود كحقيقة تقابل النظام العقلي، ومبدأ التناسق، وأنّ الإنسان من جراء ذلك، يكابد "القلق" الوجودي باستمرار، وهو بدل أن يقنع بالعيش في هذا الكون، يحمل على كاهله الكون خاليًا إلاّ من الهموم، بلا عقل ولا اتجاه، كما يحمل "سيزيف Sisyphe[1]" صخرته إلى الأبد éternellement، والإنسان معرّض طوال حياته لتجارب ومواقف عبثية[2]، فالعبث **كواقعة ملازمة للوجود الإنساني ولصيقة به، هي الفكرة الجوهرية في فلسفة" ألبير كامو".**

ب . وتتبني الفلسفة الوجودية على **أنانية متمركزة حول الذات** . باعتبار أنّها ردة فعل على الفلسفة العقلانية . مقابل المجموع، والفرد إذا نظرإلى داخل نفسه . كما فعل كيركجورد . فإنّه يغيّر الذات التي يحاول فهمها عن طريق الاتصال بالآخرين دون الرجوع إلى التبريرات الزائفة كاللغة، بل الدخول، حدسيا وبالتخيل العاطفي إلى وجودهم.

ج . وتتأسّس الفلسفة الوجودية على المسلمة القائلة بـ " **الوجود سابق للماهية** "[3]، من حيث أن الإنسان يوجد أولا، ثمّ يصنع ذاته، فالإنسان مشروع لن

---

[1]. " ألبير كامو"(1913 – 1960) ، تحكي الأسطورة اليونانية أن الآلهة حكمت على "سيزيف" بنقل الصخرة من أسفل الجبل إلى قمته: " عندما يقترب من قمة الجبل، تضعف قواه وتندحرج الصخرة إلى الأسفل ". وهوعنوان لأحد كتب " ألبير"كامو".

[2]. فلسفة العبثPhilosophie de l' Absurde. وهي فلسفة كامو صاحب رواية الغريب L' Etranger ، أسطورة سيزيف ، الإنسان المتمرّد...

[3]. راجع نص سارترفي نهاية المشكلة.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

يكتمل، فالإنسان مدفوع بقوّةِ طبيعةِ وجوده إلى العمل على أساسٍ من حرية الاختيار المطلقة والدائمة وهو مسؤول عن اختياره بتبنّيه له، ومعاناة ما يفرزه اختياره من متاعب بالتفوق عليها، أو بتقبلها على نحو **التزام**[1] لا يخصّ أحدا سواه في هذا الوجود. وهذا ما يخرج الفرد من دائرة القلق والتشاؤم . كما يعتقد أنصارها وخاصة سارتر. الذي كان يميّز الفلسفة الوجودية. غير أنّها لم تمدّ الفرد بنمهجٍ فكريٍّ جديدٍ واضح المعالم يمكّنه من مواجهة انهيار القيم التقليدية. **فكانت الفلسفة الوجودية فلسفة قلق وتشاؤم ويأس وكآبة وارتياب** عبّر عنها بصدق" شوبنهاور[2]" في كتابه " العالم كإرادة وتمثّل "، فرغم ما يمتلكه الفرد من إرادةٍ وقوّة إلاّ أنّها لا تسمح له بتحقيق وجوده كما يتمثّله. وقد كان لما عاشته أوربا في تلك الفترة من حروبٍ ومآسي وانتشارٍ للفقر والدمار تأثيرٌ كبيرٌ على فلسفة "شوبنهار" ، فلا مثالية ولا عدالة ولا قيم، بل هناك سخط وخيبة أمل، كلّها ساهمت في انتشار فلسفة التشاؤم.

ومع ذلك فإنّ الفلسفة الوجودية حاولت أن تتجاوز هذه النزعة الذاتية وذلك " بقيام الفرد بواجبه نحو المجتمع[3] الذي يعيش فيه وهذا لا يتنافى مع استقلال شخصيته ومع نزعته الفردية بل عليه أن يشارك في تحقيق المصالح المشتركة، وأن يتعاون مع أقرانه على تحقيق الخيرالعام ؛ فإنّه يفيد من هذا الخير

---

[1]. الإلتزام Engagement : يقول سارتر:" إنّ الحرية هي القدرة على الالتزام بالعمل الحالي وبناء المستقبل وهي تخلق مستقبلا يتيحُ لنا فهمَ الحاضر و تغييره".

[2]. أرتير شوبنهاور(1788- 1860)Arthur Schopenhauer : فيلسوف ألماني اشتهر بفلسفته التشاؤميةPessimisme.

[3]. الفلسفة الوجودية عند"غابريال مارسيل". "إمّا الاستسلام لليأس أوالبحث عن علاقات متناسقة مع الغير ومع الله".

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ويشارك في التمتّع بآثاره، هو يخضع لقيم المجتمع بمحض إرادته، ولا يجوز له أن يتمرّد عليها، إلاّ متى كانت هزيلة بالية تعوق التقدم وتعرقل التطور[1]"، وقد ترى في موقف "سارتر" من الاحتلال النازي لفرنسا ومناهضته له دليلا على التزام المفكّر الوجودي بقضايا مجتمعه ومشاكله.

2 . الوازع الوجودي مقابل انحراف الثورة الصناعية

إنّ أزمة المدينة المعاصرة بما آلت إليه من تفكّكٍ وانهيارٍ للقيم وصدامات طاحنة، وما خلّفته من مآس وكوارث وضحايا، تكفي لتصوير بشاعة المشهد. فهل كان لتأليه العلم، وتقديس المادة، وإخضاع الأفراد لآلة الاقتصاد الرهيبة منذ بدء الثورة الصناعية، نصيب في حدوث هذا الانحراف وما ترتّب عنه من نتائج و فظائع ؟ كيف تمّت مواجهة الصراع والألم والخطأ والموت تلك الشرور التي خلفتها مدنية القرن العشرين ؟

يعتقد كلّ من ياسبرس ومارسيل[2] أن أزمة الإنسان المعاصر لا تنبثق من نفسه وإرادته، بقدر ما هي نتيجة طبيعية للظروف التي اقتنت بتطوّره المطبوع بالاختلال واللاتوازن وأن المخرجَ من هذه الأزمة لا يتمّ إلاّ باتباع ما يأتي :

---

[1]. توفيق الطويل، أسس الفلسفة، دون طبعة، ص 85.

[2]. ياسبرس (1883 – 1969) K . Jaspers فيلسوف ألماني يعتبرأحد مؤسسي الوجودية المؤمنة، اهتم بقضية حرية الإنسان وما يهدّدها من مخاطر نتيجة تطور العلم وظهور أنظمة سياسية واقتصادية شمولية جديدة. مارسيل G.Marcel (1889 – 1973) فيلسوف وجودي وكاثوليكي فرنسي.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

أ . **الكفّ عن الإعجابِ المفرِط بنتائج العلم** إلى حدّ الانبهار والوثوقية العمياء، والسعي بالمقابل إلى التكيّف مع منجزاته التي يحقّقها اعتمادًا على **القيم الروحية** بما يتيح معايشة تجربة وجودية متكاملة و أصيلة.

ب . فهم الوجود الإنساني فهمًا شموليًا من حيث كونه يتعدّى الأبعاد الفيزيائية والبيولوجية، ومفهوم الآلية المادية، إلى اعتباره كيانًا قائمًا بذاته يتمتّع بحرية الإرادة و الاختيار و وعيه بهذه الخصوصية يجعله صانعا مبدعًا.

ج . الإيمان بمستقبل النوع البشري، لا على أساس تذويب الأفراد ضمن الآلة الاقتصادية الساحقة التي تفضي إلى النزاعات والحروب، بل بتحريرهم من سلطة النظم والجماعات، وإعادة فهمهم من خلال علاقاتهم فيما بينهم للارتقاء بهم فوق كلّ الأزمات[1] .

وهكذا يتبيّن لك؛ أخي الطالب؛ **أنالفلسفة الوجودية في ثوبها الديني هي فلسفة حرية وإنسانية ووعي أصيل وهي أكثر تجاوزًا لحالة القلق والمعاناة التي يتعرّض لها الإنسان المعاصر، وللنزعة التشاؤمية التي تكتنف تأملاته حول مصيره، لما أفردته من مساعٍ لملء الفراغ الروحي، وذلك بالعودة إلى منابع الإيمان الصافية من جهةٍ، وباتخاذ مواقف صريحة من أزمة الحضارة الغربية الراهنة و وجوب إزالة ما يُتربص بها من جهة أخرى.**

---

[1]. يقول ياسبرس : " إنّنا قد نفنى أو قد نستمر في تطوّرنا الصاعد، إلاّ أنّ الإنسانَ الذي برهن على قدرتِه في السير الارتقائي، في وسعه إذا عاد إلى التمسّك بالمعرفة وإلى الهدف التطوّري الذي جعلته له الحياة، أن يتغلّب على كلّ صعوبةٍ، وأن يمحوَ من مستقبلِه مآسي القنابل النووية ". ياسبرس، مستقبل النوع الإنساني. [نقلا عن أورخان ميسر، مع قوافل الفكر ، ص . 85].

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ثانيا : النزوع إلى تجديد الطاقة الروحية للإنسان

ومن ظلال الأزمات وامتداداتها، إهمال شبه كامل للذات، وقمع لنوازعها الروحية. فكيف تسنّى للفلسفة المعاصرة أن تصحّح هذا الاختلال ؟ وما البدائل التي تقترحها ؟

1 . الحدس من حيث هو تطوّرٌ خلاّقٌ

إذا كانت المادية الآلية ترى أن ليس ثمّة حياة إرادية؛ أي ليس في الوجود تلك القوّة الحيوية التي تريد هذا فتعمله ولا تريد ذلك فتنبذه. وكلّ ما هنالك حالات ماديةٌ متتابعةٌ، كلّ حالة نتيجة لما قبلها ومقدّمة لما بعدها، وهذا ما بشرت به كل التيارات التي اتخذت من العلم وسيلة لمعرفة خبايا الطبيعة والإنسان على حدّ سواء. ولقد كان لـ" شونهاور" موقفٌ أعاد الاعتبار **للحياة** و**للإرادة**، غير أن الذي أبدع في الردّ على هذه النزعة المادية والآلية هو الفيلسوف الفرنسي"هنري برغسون"، من خلال فلسفة التطوّر الخلاّق، والتي ردّ من خلالها الاعتبار للحدس والوجدان، **فالحياة أصبحت موضوعًا** و**الحدس أداة** و **وسيلة** و **التطور غايةً كبرى**.

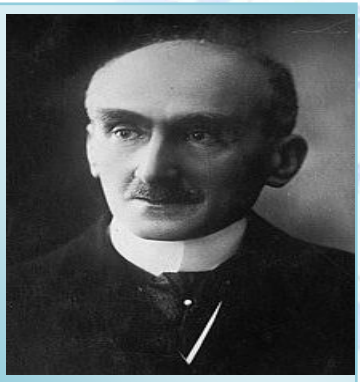

برغسون 1859 – 1941

جميع الحقوق محفوظة ©

أ . فالإنسان وما تنطوي عليه ذاته من انطباعات ومشاعر وأحوال، والحياة وما تتضمّنه من تطوّر و وقائع وحركة حول هذا الإنسان تشكّل **مبحثًا جديرًا بالتأمل والنظر**.

ب . وما يصطنعه الفكر في التعرّف على طبيعته ضمن تيار الحياة، ليس العقل النظري الموجّه أساسًا إلى تفكيك الوقائع كآلية مجترة صمّاء بفعل الارتهان بالوقت والمكان، وإنّما **الحدس**[1] باعتباره وجدانا مسنودًا بالعاطفة وغريزة الحياة والعقل،فيدفع صاحبه إلى التواصل والتشارك عبر تدفق المشاعر والآمال في سبيلٍ واحدٍ غير قابل للتجزيء الزماني من حيث هو **ديمومة مستمرّة** Durée.

إيمانويل مونييه 1905- 1950

ج . فإذا تفاعلت الأداة مع موضوعها تحققت الغاية الكبرى التي يتطلّع إليها كل تفكير فلسفي وهي **حقيقة الإنسان والوجود كتطوّر خلاّق ومستديم**، وليد **الاندفاع الحيوي**[2] والتلقائية والحرية والإبداع، الذي لا تحكمه قوانين الزمان والمكان الآليين، في مجالات الفن والأخلاق والدين، **فالفكر الفلسفي كان حبيس المشكلات المزيفة.**

لقد فتح "برغسون" بمفاهيمه الجديدة مجالا واسعا للدراسات النفسية والأخلاقية والفلسفية : من "المادة إلى الروح" ، من "الآلية إلى الديمومة" ، من "الأخلاق المغلقة إلى الأخلاق المتفتحة" ...

---

[1]. هنري برغسون(1859 – 1941) Bergson فيلسوف فرنسي من أهم مؤلفاته: "بحث في المعطيات المباشرة للشعور"، "المادة والذاكرة"،"منبعا الأخلاق والدين "،

[2]. Elan Vital وهو مفهوم أساسي عند برغسون باعتباره أساس الحركة والتطور.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

2 . الشخص تجربة ذاتية و روحية

لقد بلغت الأزمات في الغرب ذروتها سنة 1929، حيث اتجهت حضارة الغربية إلى الانهيار، فكان لذلك أثرٌ كبيرٌ على الفكر الإنساني وعلى القيم الإنسانية وأبعادها.

ومن أبرز الفلاسفة الذين عبّروا عن الوضع الإنساني في تلك الفترة المفكرالفرنسي "إيمانويل مونييه[1]"، من حيث هو وضع تميّز بالإفلاس الروحي وانهيار للقيم، وضعٌ فَقَدَ **فيه الإنسان هويته كإنسان**، فكان من الضروري إعادة الاعتبار لمقوّمات هذا الإنسان، وذلك من خلال:

* تغيير قيم الإنسان ومؤسساته، " فإمّا أن تكون **الثورة روحية**، وإمّا أن لا تكون أبدًا "، كما يقول مونييه نفسه.

* إعادة بناء نزعة إنسانية قادرة على أن تدمج، في حضارة جديدة، كلّ معطيات التاريخ الإنساني والعلوم الإنسانية؛ ومحور هذه النزعة الإنسانية هو **الشخص** Personne[2] من حيث هو **قيمة مطلقة**.

* تعميق التواصل بين الذوات الإنسانية[1]، والإنسان والطبيعة، والاندماج بين المادة والروح من حيث أنّه " لا حضلرة إنسانية إلاّ إذا كانت ميتافيزيقية الاتجاه ".

---

[1]. إ . مونييه E . Mounier فيلسوف كاثوليكي فرنسي، تلميذ برغسون، مؤسس المذهب الشخصاني Personnalisme، وهو مذهب ذو نزعة إنسانسية ودينية مسيحية. وكان عدوًا للفردانية البرجوازية وللأنظمة الشمولية التي سلبت الإنسان حريتهو أفقدته كرامته.

[2]. هو الحرّ المندمج في العالم ومعالآخرين. الفرد الذي تُنسب لهمسؤولية أفعاله الصادرة عنه، وأنّه يأخذ قيمةً خاصةً عندما يُنظر إليه كذاتٍ واعيةٍوحرة ومسؤولة ذات كرامة، تعي ذاتها وقيمتها الأخلاقية.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

سجل ؛ أخي الطالب ؛ ما يلي : **لقد حاول الفكر المعاصر معالجة أزمة الإنسان والحضارة بعيدًا عن الفلسفات التجريدية التي أنتجت لنا أنساقا نظرية لا قيمة للوجود الإنساني فيها، وتلاحظ ؛ كذلك؛ سيطرة النزعة الروحية الفلسفية والدينية على كثيرٍ من الإنتاجات الفلسفية في القرن العشرين.**

II . كيف اهتمت الفلسفة المعاصرة بتحليل وجود الإنسان من خلال الشعور وظواهره، والفكر وتعبيراته، بمنأى عن كلّ ما هو ورائي؟

أولا . تحليل وجود الإنسان من خلال الشعور و ظواهره

لم يغفل الفكر المعاصرأهمية تحليل نظرية المعرفة وأحكام القيمة، على ضوء مغالاةِ مثالية[2] و واقعية[3] القرن التاسع عشر، في **فصل الذات عن الموضوع**، واحتكامهما إلى مبدأ أول تمّ افتراضه خارج معطيات الشعور المباشرة، وهو ما يكرّس تعدّد "حقائق"الموضوع الواحد. فكيف يتمّ **توحيد الذات مع الموضوع**، كمنهجٍ بديلٍ لتجاوز هذه المشكلة وحسم النزاع الناتج عنها؟

---

[1]. " إنّ التشخصن هو الخروج بالذات منعزلتها وفرديتها، والاتجاه نحو **الشخص** عبرالانفتاح على الآخرين والتواصل معهم، وتحمّلمصائرهم وآلامهم بكلّ كرم ومجانية. إنّها إذن حرية منظمة ومطلوبة بنداء، هو نداء الإنسانية، فالحرية الحقة الحرية الملتزمة، لأنها تحترم الغير ومشروطةباحترام القيم، إنّها موقف وقيمة".**عن: فلسفة محمد عزيز الحبابي، ممثل الشخصانية الواقعية الإسلامية.**

[2]. المثالية Idéalisme : المذهب الذي يرى أن الفكرَ لا يدرك الطبيعة وإنّما يُدرك تصوراته عنها، أو أيّ مذهب يؤكد على أهمية الفكر في المعرفة.

[3]. الواقعية Réalisme : المذهب الذي يرى أن العالم الخارجي المادي حقيقي، وله وجوده الحقيقي المستقل عن إدراكنا له، وهذا العالم الخارجي يوجد بالفعل سواء أدركناه أمْ لم ندركه.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

1 . القصدية كمنهجٍ جديدٍ للمعرفة

إنّ مباحث الفلسفة تتسم بالنسبية والاختلاف، وعلى العكس من ذلك نجد أن نتائج العلم وقوانينه تميّزها الدقّة واليقين والثبات، كما أن لكلّ فلسفة منهجا يميّزها وتستند إليه في معرفة حقائق الأشياء، غير أنّ **الفلسفة الوجودية في بداية أمرها لم يكن لها ذلك المنهج الذي تُعرفبه والذي يحجز لها مكانًا في الدراسات الفلسفية عامة**، حيث كانت تعبيرًا عن معاناة الإنسان بأي صورة وبأي شكل. فإذا كان العلم يعتمد على منهجٍ صارمٍ و دقيق كدقة الرياضيات، فكان لزاما على الفلسفة الوجودية أن تتبنى منهجًا يماثل هذه الدقة، وهذا ما أشار إليه الفيلسوف "إدموند هوسرل[1] " و يقوم على :

أ . التحرّر من كلّ رأي سابق وتعليق الأحكام الخاصة بالأشياء والأفكار بوضعها بين أقواس[2] "Mise entre parenthèses"، واستبعاد كلّ الشوائب اللغوية، القطعية الافتراضية، والحاصلة بالعادة، إلى غاية التقرير الدقيق **لمعانيها** Sens ومصادراتها المنطقية بواسطة البرهان التحليلي والتصنيف الصارم.

ب . دراسة وقائع الفكر والمعرفة **دراسةً وصفيةً محضة**، على نحو ما **نحياه في شعورنا**.

---

[1]. هوسرل (1859 – 1938) Husserl فيلسوف ورياضي ألماني مؤسس الفلسفة الظواهرية Phénoménologie وأساسها العودة إلى الأشياء ذاتها والبحث في ماهيتها.

[2]. التعليق المؤقت للوجود، ويعني ذلك أن وضع الوجود . بما يحتويه من أشياء . بين قوسين، يقف بنا وجهًا لوجهٍ أمام الشعور، بوصفه واهب كلّ معنى.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ج . دراسة الظاهرة على أنّها **كلّ** لا يتجزأ كموضوع يبدو في الشعور مُدْرَكًا بالحواس ومعروفًا بالحدس، وفي الوقت نفسه كذاتٍ **تُضفي على الإدراك دلالة وقصدا** *intentionnalité* visée. وما دام الشعورُ ساحةً لتحقّق هذه المعرفة، فإنّه لا شعور إلاّ بموضوعٍ[1] ، والتناوب بينهما دليل وحدتهما.

وعلى هذا وضع "هوسرل" منهاجًا للفلسفة، ليس في حقيقته **غير وصفٍ لمعطياتِ الشعورِ المباشرة**، وهو المنهج الذي طوّر الفلسفة وجعل منها مجرد علم وصفي محكم، و**يتميز بكونه تجاوزا لثنائية الذات والموضوع، فلا ينكر أهمية الموضوع والواقع كما هو الحال عند المثاليين، بنفس القدر لا يقلّل من قيمة الذات والحدس العقلي على غرار ما يسلّم به الواقعيون**. وهو ما تأكّد لاحقًا، مع تعميم الظواهرية في الدراسات الإنسانية المختلفة، على أمل أن يحالفَها بعض النجاح في ذلك.

2 . الإنسان والظواهر المتكثّرة :

تُصوِّرلوحة (جورنيكا Guernica[2]) الشهيرة مشهدًا استعراضيا لكائنات، بعضها إنسان "امرأة تتضرع إلى السماء، وأخرى تندب طفلها القتيل، ورجل جريح يُمْسِكُ بسيفٍ مبتورٍ"، وبعضها الآخر حيوان " ثورٌ هائجٌ، وحصانٌ مبقورُالبطن". وما يجمع بين كلّ هذه الكائنات، **كقاسم مشترك**، إنّها قُدّمت مشوّهة

---

[1]. " إنّ الشعور هو دائمًا شعور بشيىء " . la conscience est toujours conscience *de* quelque chose.

[2]. يقول بيكاسو:" إن الفنّ لم يُجعل لتزيين المنازل. إنّه أداة حرب، دفاعا وهجوما، ضد العدوّ ". وهذه الصورة تندّد بالعنف وبأهوال الحرب.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

جورنيكا Guernica

من أهم أعمال الرسام العالمي "بيكاسو"(1881 – 1973) P. Picasso، رسمها أيامًا بعد قصف الطيران النازي للقرية التي تحمل نفس الإسم في (26 /1937/4) أثناء الحرب الأهلية الإسبانية و مساندةً لـ" فرانكو".

الوجوه، ومقطّعة الوصال، ومتداخلة فيما بينها! [وهي **ترمز** إلى الحزن والاستنكار والشجاعة والتضحية، كما تشير إلى رعب و هول الحروب والصراعات ...].

وللوهلة الأولى، يتراءى للناظر ألاّ معنى يقصد إليه هذا المشهد خَلا المعنى الفني، وهو تفعيل الانطباع الذاتي والوجدان، وأنّ مثل هذا **التفعيل لا يُشترط فيه أن يكون واحدًا لدى جميع الناس**، لأنّهم يختلفون في انطباعاتهم بالفطرة، وأنّ التجربة الفنية والجمالية، مثل كلّ التجارب الإنسانية ذاتية لا موضوعية، و**ليس بوسع العلم أن يتعرّفَ عليها بصورةٍ دقيقةٍ كتعرّفه على موضوعات الطبيعة بتبنيه لمنهج موضوعي**. إن الاعتراضات الموجهة للظواهرية وتطبيقاتها في مجال العلوم الإنسانية مردودٌ عليها، فيما لو أُخضعت التجربة

جميع الحقوق محفوظة ©

الإنسانية لآلية المنهج الظواهري بكل مقوّماته، باعتبار أنّ هذه **الظواهر هي ظواهر للشعور :**

أ . فـ " التعليق المؤقت" يجعلنا وجهًا لوجهٍ أمام الموضوع كظاهرة تتبدّى على الشعور **مباشرة** من خلال تجربة حسية أولية **بعيدًاعنالأحكام القبلية** والعادات السابقة المألوفة والافتراض والتخيّل.

ب . والتحليل يمكّننا من **معرفةِ الظاهرةِ الإنسانية من الداخل،** عن طريق وصف ما تخلِّفُه من أثرٍ عاطفيٍّ أو قيمي على الشعور. فالشعور هو دائما **نزوع**Intention متّجه نحو **موضوع**Objet.

ج . و**القصدية،** وإن تخلّلت التحليل والوصف، فهي لا تبلغ كمالها المتعالي إلاّ إذا عادت القهقرى نحو الوقائع مجتمعةً مع الانطباعات؛ أي **توحيد الذات بالموضوع،** والخروج من ذلك، **بمعرفةٍ إجماليةٍ.**

وفي الأخير يمكن؛ أخي الطالب؛ القول أن هذه الثلاثية (**التحليل** و**الوصف** و**القصدية**) لا تمثّل مراحل متعاقبة تعاقبًا زمانيًّا، بل تتداخل فيما بينها وتتقاطع. و**القصدية** أو **النزوع** ليست، في النهاية، تجميعًا لعناصر الوصف والتحليل، بقدر ما هي **تناوبٌ بين الذات والموضوع،** فالموضوع يقدّم نفسه للذّات (الشعور) كمعرفةٍ، والذات تضفي المعرفةَ على الموضوع في سياق واحدٍ متّصلٍ، وهو ما أفاد في تقدّم الدراسات الإنسانية (علم النفس والاجتماع...) باتجاه **الموضوعية.**

جميع الحقوق محفوظة ©

ثانيا : تحليل وجود الإنسان من خلال الفكر و تعبيراته

إنّ السعي إلى إيجاد منهج جديد؛ كما تصوره الظواهريون؛ يكون بمثابة الرياضيات بالنسبة إلى العلم في دراسة الوجود الإنساني وملحقاته، يثير مشكلةً أخرى، تتعلّق بطريقة التعبير عن الموضوعات التي يتعيّن أن تخضعَ لهذا المنهج؛ فإذا كان العلمُ قد حدّد نهائيًا لغته الاصطلاحية الدقيقة، فأنتج واقعًا موضوعيا لا لبس فيه، فهل استطاعت لغة التأمّل الفلسفي تحقيق شيىءٍ من ذلك، وهي لا تزال تُعنى بالتعبير عن الماورائيات ؟

1 . تفكيك اللغة ضدّ الماورائية

يرى أعضاء "حلقة فيينا[1]" أن مأزق التفكير الفلسفي المعاصر **يكمن في عدم قدرته على التعبير في نفسه بلغةٍ دقيقةٍ وواضحةٍ**؛ فإذا كانت العارات المستخدمة في لغة العلم تقبل التحقّق من صدقِ أو كذب ما تفيدانه من معانٍ واقعيًا وتجريبيًا، فإنّها في غيره متعذّرة التحقيق لابسبب سوء تركيب هذه المعاني، أو عدم ائتلافها مع بعضها، أو استحالة تعيّنها.

إنّ **كلّ عبارةٍ لا تفيد معنى، لا يمكن التحقّق منها؛ أي لا يمكن وصفها بأنّها صحيحة أو خاطئة** ؛ وما يتعذّر فهمُه والتحقّق منه، لا يمكن اعتباره موضوعا للفلسفة. وعلى ذلك، لا بدّ من إقصاء الماورائيات جملة وتفصيلا؛ **لأنّها** باستخدامها لِلُغَةٍ على غيرما يتّفق الناسُ، تبحث فيما ليس له وجودٌ في الواقع، وأن

---

[1]."Cercle de Vienne" مجموعة من الفلاسفة والعلماء هم مؤسسو الوضعية الجديدة من أهمّ أفكارهم : استبعاد المشاكل المزيفة Pseudo-Problèmes للميتافيزيقا، وإنشاء لغة علمية جديدة. من أبرز ممثّليها : موريس شليك ، كارناب "صاحب مبدأ التحقق"، وتشتت أعضاء الحلقة بعد 1934 بعد هجرة بعضهم.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

مشاكلها عامةً (في الأخلاق والدين وعلم الجمال) ومشكلة الواقعية والمثالية خاصة، ينبغي أن **تُعدّ مشاكل وهمية زائفة.**

2 . التحليل المنطقي توضيحٌ للأفكار

هل بقي للفلسفة المعاصرة موضوعات تتناولها، بعد أن غزا العلم جميع مجالات المعرفة الإنسانية ؟ إن العلم نفسه سيكون موضوعا من موضوعاتها، وتتناول ما لم يصل إليه العلم بعد، فالمعرفة العلمية لا تغطي سوى جزء ضئيل من الموضوعات التي تهمّ الجنس البشري، فالفلسفة تجعلنا نواظب . بفضل تحليل منطقي . على التفكير في أشياء، سنصل إليها يومًا ما، بواسطة العلم.

التحليل عند "برتراند رسل[1]" ولودفيق فيتجنشتين[2]" و"هانز رايشنباخ[3]" .

يرى هؤلاء أنّ المعرفة الإنسانية من ثلاثة أنواعٍ : إمّا علمية، أو تأمّلية، أو تحليلية، على الفلسفة أن تحدّد موقفها منها :

أ . ففي المعرفة العلمية، لا يجوز للفيلسوف أن ينافس العالِم في علمِه بأن يبحثَ في " طبيعة " المادة والإنسان، حتى وإن كانت هذه من اهتماماته في السابق. فقد كفاه العلماء ذلك ؛

---

[1]. رسل (1872 – 1970) Rusell شارك مع "وايتهيد" في كتابة Principia Mathematica في ثلاثة أجزاء، كان يهدف إلى تأسيس الرياضيات على المنطق.

[2]. فيتجنشتاين(1889 – 1951) Wettgenstein تلميذ رسل، وهو مؤسس التحليلية : "هدف الفلسفة هو التوضيح المنطقي للفكر".

[3]. رايشنباخ(1891 – 1953)Reichenbach رياضي وعالم فيزياء ألماني .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ب . وفي المعرفة التأملية، فإنّ الفيلسوف لا ينتهي **إلى نتيجةٍ** ؛ لذلك، وجب عليعه أن ينفض يديه من الميتافيزيقا ؛ **فالتأمّل في مباحث الميتافيزيقا لا يرقى إلى أن يكون معرفةً؛**

ج . وفي المعرفة التحليلية، يجد الفيلسوف ملجأ وحيدًا، يتحصّن فيه بكلّ أمانٍ ضد التيارات المناوئة له، فيكتفي بإخضاع العلم للتحليل الواقعي عن طريق الإحصاء ودراسة الاحتمالات[1]، ويمارس التفكيك اللغوي للحقائق العامة والجزئية المنتشرة بين الناس[2].

لقد كان البحث عن المعرفةِ اليقينية من أهمّ الدوافع التي دعت إلى ممارسة التحليل المنطقي. ولكن اليقين فيها، ليس مطلقًا، كما تصوّرتْه الفلسفة التقليدية، بل يبقى نسبيًا بمقدار ما يتحرّر من الشك، ويقدّم نفسَه بالوضوح الذي تبرّره أسس المنطق وشواهد الخبرة الحسية، فضلا عن صدق التعبير عنه.

---

[1]. الأسس الفلسفية لنظرية الاحتمال لـ " هانز ريشنباخ".

[2]. الفلسفة التجريبية الحسية.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

III . وكيف مارست الفلسفة المعاصرة أخيرًا، القطيعة مع تأمله الذاتي لوجوده، بتقديرها للعلم وما ينتج عنهمن أثرٍ نافع ؟

أولا : العلم كبديل عن تأمل الوجود و ترف الفكر

وفيمل يتعلّق بتأثير العلم على وجود الإنسان . من حيث هو إنجازٌ في الكشف وإبداعٌ في المنهج . على وجود الإنسان، وهيمنته على أطوار الفكر الفلسفي المعاصر، فإنّ القضية تُفرز تساؤلين هامّين، هما : فيم تتمثّل المبادىء الجديدة للعلم، على ضوء تطوّر كشوفاته باتجاه تخطّي النظرة السابقة للنظام والانسجام في الكون ؟ ثمّ ما هي أسس هذا التخطّي على صعيد المنهج والتطبيق؟

1 . من مبادىء العلم الجديدة : النسبية والاحتمال في مطلع القرن العشرين، وتحديدًا في سنة 1905، توصّل ألبرت آينشتاين (1879 – 1955) إلى فهم النظرية النسبية الخاصة[1] ؛ فكان ذلك بمثابة الحدث الأهم في نظرية فلسفة العلم. فما هي نتائج هذا التحوّل ؟

يعتبر علماء القرن التاسع عشر وما قبله، مبدأ "**الحتمية المطلقة**" ناموسًا عامًا في الطبيعة، وهو لا يمكّن من تفسيرها ميكانيكيا فحسب، بلو من التنبّؤِ بحوادثها أيضًا، فيشبهون سير الأشياء بسير ساعة ضبط الوقت[2].

---

[1]. "Relativité Restreinte Théorie de la".

[2]. يقول "لابلاس(1749– 1827)Laplace" : " يجب علينا أن ننظرَ إلى الحالة الحاضرة للكون على أنّها معلولةٌ لحالته السابقةِ، وعلّة لحالته اللاحقةِ ، فلو أمْكن لعقلٍ ما ، أن يعرف في لحظةٍ معينة جميع ما يحرّك الطبيعة من قوى [...] إذن لاستطاع أن يُعبّر بصيغةٍ واحدةٍعن حركات أكبر الأجسام في الكون، و عن حركات أخفّ ذرة موجودة و لمَا بقي شيىء مجهولا

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ولكن قوانين النسبية بتجاوزها للفيزياء الكلاسيكية، مهدت السبيل إلى تقويض مبادىء تلك الفيزياء، وخاصة المستمدة من التجريد الذاتي واللتأمل المواورائي كالعليّة والحتمية. وهكذا، يرى بونكريه, وتابعَه في ذلك نسبيًا، ماخ (1838 – 1916)E . Mach ، أنّ العلمَ يقوم على المشاهدة والفروض والاحتمالات من جهة، ودراسة العلاقات بين الظواهر من جهة ثانية، كبدائل تعدّ تلك المبادىء.

أ . فأمّا المشاهدة والفروض والاحتمالات، فيدلّ ترابطها على أنّرجل العلم لا ينبغي أن يتوقّع من التجربة، أن تقدّم لهمعلومات تكفي لوضع القانون، لأنّها محدودة، وإن كانت من جهة أخرى، توحي لنا بعدد من الحالات، نتواضع عليها ونتفق. ويظلّ مبدأ الحتمية أجوف، إذا لم يُضف إليه مبدأ الاحتمال[1] ؛ وإقصاء الاحتمال معناه القضاء على العلم؛ ذلك " **أنّ الظروف هي من التعقيد بحيث يكفي أن يخفي عنّا عامل صغير، حتى نخفق في تحديد النتائج [...] والظواهر تخضع لقوانين الصدفة حينما تكفي فروق صغيرة في الأسباب لإحداث فروقٍ كبيرة في النتائج**"[2].

بالنسبة إليه، و لأصبح المستقبل و الماضي حاضرين أمام عينيه". مرحبا ، المسألة الفلسفية ، ص - 120.

[1]. وقد دلّت علاقات الارتياب Incertitude Principe d' التي صاغها "هيزنبرغ" فيما بعد على صحةهذه التحليلات، وهو مبدأ من مبادىء الميكانيك الكوانتية الحديثة ومؤداه : "أنّه يستحيل تحديد، وبصورة دقيقة، سرعة ومكان جزيء، كالإلكترون في **نفس الوقت** Simultanément " .

[2]. هنري بوانكريه : العلم والمنهج ، نقلا عن بدوي، الموسوعة، ص . 388.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ب . وأمّا دراسة العلاقات بين الظواهربهدف التعرّف على ما يربط بين الأشياء في تعاقبها، فهي أقصى ما يطمح إليه العلم لتكريس موضوعيته؛ و وضع القوانين ليس معناه تفسير هذه الظواهر وتعليلها، بل كلّ ما يمكننا فعله، إنّما **هو وضع شيىء من النظام عليها وتصنيفها**، والعمل على تبسيطها، واستخلاص النتائج منها. ومن هنا، فالعلم يقرّر و لا يفسّر.

ونخلص ممّا تقدّم، إلى أن العلم في تطوّره لهذا العصر، قد نزع عنه معظم المبادىء المتخيّلة عن طريق التأمّل الفلسفي المجرّد، وخفّف من تأثير ذلك الترف الفكري الذي حال بينه وبين معرفة حقائق الوجود و الإنسان في نسبيتها و تفرّدها، و قابليتها للنموّو التغير.

2 . تخطّي العلم للنظرة السابقة : القطيعة مع التراكم لا مع البناء

إذا تجاوزنا مع باشلارو بوبر[1] مبادىء العلم، إلى البحث في تقدّم العلم، فإنّنا لا نتردّد معهما، في وصفهذه النقلة بالقطيعة الابيستمولوجية وبثورة النفي والتكذيب. فما هي مبرّرات هذا الوصف؟ وما هي سماته ودلالته كموقف ؟

إنّ الاعتقاد الذي ساد طويلاً في **تفسير تقدّم العلم** عبر مراحل التاريخ، يُحيل ذلك إلى خاصية **التراكمية العفوية التي تطبعه**، فكلّ عالِمٍ يأخذ عن سابقه، أو يتصل بمعاصريه؛ وفي الحالتين، لا يفعل أكثر من التحليل والتنقيح، ثمّ الإضافة و الإنهاء.

---

[1]. باشلار (1884 – 1962)) G.Bachelard فيلسوف وابيستمولوجي فرنسي، اهتم بقضايا فلسفة العلوم، و هو في نفس الوقت شاعر.كارل بوبر (1902– 1994) K.Popper ، اهتم هو الآخر بفلسفة العلومPhilosophie des sciences من أهم مؤلفاته : منطق الكشف العلمي La logique de la découverte scientifique.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

لكن الموقف الإبستمولوجي الجديد،يرى أن التصوّر التقليدي، يجافي في آن معًا، حقائق التاريخ والمجتمع ومنطق العلم ذاته، وأنّه أثرٌ من آثار الترف الفكري ليس إلاّ.

أ . فتاريخ العلم يبيّن . حسب باشلار . " كيف أن ما نعدّه اليوم ، نظرية علمية صحيحة، قد مرّ بالعديد من النظريات التي ثبت خطؤها في مرحلة تالية، ومعنى هذا أيضا، أن ندرك أنّ نظرية الغد ستكون صحيحة في نظر أصحابها، لأنّها قضت على نظرية اليوم"[1]. والحقائق العلمية تبرُز فجأة، كأنّها ثورة تنفجر بمعزلٍ عن المحيط العام، وأحيانًا ضدّه.

ب . لا قيمة للحقائق العلمية في المجتمع، إلاّ في إطار من تبادل النظريات والآراء، بل حتى " عندما ينشا فكر علمي، وصاحبه في عزلة عن الناس كمل يقول باشلار، فإنّه يحمل دائما طابع المنافسة، ويتحدّى مراقبة الآخرين [...] ولا يكتمل للحقيقة معنى، إلاّ في نهاية النقاش ؛ هل هناك حقائق أولى ؟ كلاّ، ليس ثمة سوى أخطاء أولى[2].

ج . والعلم يمضي في طريقه **بتصحيح المعارف** عن طريق الإنكار والتشطيب والقضاء على السذاجة الأولى، لأنّه جدلي بطبعه، يمارس الحوار والقطيعة معًا، وعلى من يتصدّى للنقد العلمي، أن يحترم دائمًا، انتفاضات العقل وبوادر دهشته فدَيْدَن العلم البناء والهدم، ليعود إلى البناء. وهكذا، تكون كلّ النظريات قد نقّحت وأعيد تصحيحها و تطويرها.

---

[1]. عبدالرحمن بدوي ، الموسوعة الفلسفية، ص . 292.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

[2]. غاستون باشلار [نقلا عن جون فال : الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر، ص 166.]

د . و زيادة على ذلك ؛ وفي سياق الموقف الإبيستمولوجي نفسه، يضيف " كارل بوبر" دعوته الصريحة إلى تجاوز المفهوم الكلاسيكي للاستقراء بوصفه لا يستقيم والطابع الجدلي والنقدي للمنهج العلمي؛ فهو يقترح مفهومًا بديلاً يقوم على ما يسمّيه بـ" **قابلية التكذيب**"؛ وإذا كان استقراء الحوادث كلّها لأجل التحقّق من صدق النظرية مستحيلاً، فإنّه **يتعيّن سلوك مسارٍ عكسيّ إضافي؛ أي من النظريةإلى الوقائع التي تكذّبها , أو التي لا تصدُق عليها فيما يشبه الاستنباط؛** وهذا في رأيه، ما يميّز العلم عن الميتافيزيقا. والاستقراء التام المطلق هو من قبيل الافتراض الموغل في الذاتية، والعلم التخيّلي الكاذب. وعلى هذا الأساس، يمكن حلّ مسألة تقدّم العلم.

بيرس 1839 – 1914

ثانيا : العمل النافع كأساس لفهم الوجود إنساني

إنّ التحول الذي حدث في الحياة المعاصرة مع انهيار القيم الإنسانية، وما نتج عنه من تفكّك وحروب، وما أدّى إليه من معاناة أزمة هوية و وتجود في الافكر الفلسفي، دفع . كما رأينا . هذا الفكر إلى الاتجاه نحو توقير الوازع الروحي تارةً، ونحو إجلال البحث العلمي تارة أخرى ؛ لكنّه أيقن في الأخير، أنّ ثمّة من نقاط التباعد بين طرفي هذه الثنائية، وما يستوجب الاتجاه . بمعيتهم . نحو طرف ثالث محايد يضفي عليهما التعايش والتكامل، بل التفاعل أيضًا، ألا وهو تثمين العمل، وخاصة العمل النافع . فإلى أيّ حدّ نجحت الفلسفة لهذا العصر في تحقيق المعاجلة المذكورة؟ وما هي نتائج هذا التحوّل الأخير؟

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

1 . من معيار الفكر إلى معيارالعمل

إنّ معنى كلّ فكرة إنّما يكون في أثرها في المحسوسات وفي العالم الواقعي، لا في عالم الأفكار والضرورات المنطقية والمعاني المجرّدة ، فيرى "بيرس[1]": " **أنّ الحقّ يقاس بمعيار العمل المنتج، وليس بمنطق العقل المجرّد، والفكرة هي خطة للعمل و مشروع** ". ويقول "وليام جيمس" (1842 – 1910) : " **إنّ التفكيرَ هو أولاً وآخرا ودائمًا،من أجل العمل. وتصوّرنا لأي شيىء ندركه بالحسّ، ليس في الواقع إلاّ أداة[2] نحقّق بها غاية ما**[3]". ومن هنا، فالبراغماتية [4] تتضمّن، من الوجهة الفلسفية، نقدًا لمعيار الفكر و**تبنّ لمعيار العمل** :

أ . فلقد أضاعت الفلسفة التأمّلية منذ نشأتها إلى غاية العصر الحديث، وقتًا ثمينًا في مهاترات لا تجدي، ومجادلات عقيمة لا تقدّم ولا تؤخر، وهو ما أدّى إلى تعدّد المذاهب وتضاربها بتعدّد وتضارب أمزجة أصحابها. وقد آن الأوان لطيّ هذه الصفحة بالعودة إلى محكّ الواقع.

ب . والأفكار التي لها **ظواهر محسوسة هي دلائل للعمل**، واتجاهات إلى خلق النشاط ورسم مشاريع وخطط لبذل الجهد والإقبال على العمل، بما يساعد على إحداث تغيير في البيئة التي تحيط بالإنسان وعلى ضمان التكيّف.

---

[1]. بيرس C.S.Peirce ، كيف نوضّح أفكارنا لأنفسنا ؟ نقلا عن توفيق الطويل أسس الفلسفة ، ص . 402 .

[2]. الأداتية Instrumentalisme، فلسفة "جون ديوي" وهي تقوم على ضرورة الجمع بين النظري والعملي، والفكر يكشف عن العلاقات بين ما ننجزه من أعمال وما يترتب عنه من نتائج، والحقيقة هي ما تثبته التجربة العملية.

[3]. وليام جيمس ، عن توفيق الطويل أسس الفلسفة ، ص . 403.

[4]. البراغملتية أو الذرائعية من" Pragma "Pragmatisme.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ج . والمعيار الوحيد لصدق الفكرة هو **نجاحها في مجال** العمل و ما ينجرّ عن هذا العمل من نفعٍ على مستوى الفرد والمجتمع.

2 . الذرائعية فلسفة للحياة والإنسان

تعرض مسرحية "موت بائع جوّال[1] "1949" قصة رجل يدعى" ويلي لومان" يتنقل بحقيبته لبيع السلع والأدوات البسيطة من بيتٍ لآخر، ومن ولاية لأخرى. وبدا مع الأيام، وكأنّه يبيع نفسه وحياته عبر هذه الرحلات، خصوصًا بعد تقدّمه في السنّ؛ وانتهى به المطاف إلى استغناء الشركة التي كان يعمل لها عن خدماته، بالرغم ممّا قدّمه من تضحياتٍ لأجل أن يضمن مستقبل زوجته وأبنائه. وبما أنّه صار في نظر هؤلاء الأبناء ، مثالاً للفشل لأنّه لم يتمكّن طيلة حياته من أن يحقّق لهم شيئا، فقد قرّر أن يجعل موته سببًا لتعويض ذلك الفشل، ففي نفس اليوم الذي انتحر فيه(لومان)، امتلك الأبناء البيت أخيرا، بعد أن استوفى عدد الأقساط التي كان يدفعها من راتبه، فضلا عن تعويضٍ مالي من شركة التأمين على الحياة التي كان متعاقدًا معها. فابتاع موته مقابل حياة زوجته وأبنائه. فما الذي نستخلصه من هذه القصة (بعيدًا عن مأساويتها) من معانٍ ترتبط بقيمة **العمل** (مؤسسات تجارية..) من وجهة نظرالذرائعية في العالم الجديد؟ وهل تمثّل قيمًا إنسانية على صعيد الفعل والواقع ؟

---

[1]. " "Mort d'un commis voyageur" - "Death of A Salesman" للروائي ميلر(1915 – 2005) A.Miller اشتهر برواياته الدرامية ؛ خاصة في ظلّ الأزماتو المعاناة الأسرية والسياسية والاقتصادية التي انتشرتفي المجتمع الأمريكي.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

يرى "جون ديوي" في أمريكا و " شيلر" في انجلترا، أنّ الحياة الإنسانية المعاصرة بتنوّع تشكيلاتها ومظاهرها؛ هي وحدها المجال الحيوي الأنسب لتفعيل الفلسفة :

أ . **فالعقل أداة** (ذريعة) لتطوير الحياة وتنميتها بعد أن كان وسيلة للمعرفة ؛ فلو جلس (لومان) يحلّل فقط، وضعه الحرج لأجل المعرفة، لما انتهى إلى شيىء، ولكنه سارع إلى توظيفه لإيجاد خطط تفيده في حلّ مشكلة في الحياة، كما عاناها. ويتساوى العقل في ذلك، مع أيّ عضوٍ آخر من أعضاء الجسم، فالعين والأطراف ليست وظيفتها نقل الألوان والأحاسيس، بل هي فوق ذلك (كماعند لومان في تجواله) أدوات للحركة، للتكيّف مع الناس والأشياء.

ب . تنحصر **مهمة الفلسفة في خدمة الحياة** وتأمين سيرها وتيسير السبل لها، وتنسيق العمل فيها لكي تنموَ وتطّرد ؛ وهي بهذه الصفة لا يجوز أن تثبت على حالةٍ واحدةٍ، إنّ مشكلاتها ومادتها تنشأ عمّا يحدث من ضروب التوتّر في الحياة الإجتماعية، وما يستدعيه من تقويم تربوي وأخلاقي.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

خاتمة : حلّ المشكلة

تتميّز الفلسفة المعاصرة إذن وعلى ضوء ما عرضنا له من أطوارها، بأنّها حوارٌ دائم، موضوعه الأساسي الوجود، والإنسان داخل الوجود، بما في ذلك مواجهة مختلف الأزمات التي أفرزها تطوّر العلم وتطبيقاته، على صعيد انحراف القيم عن مقاصدها الروحية والأخلاقية، وعلى صعيد عدم مواكبة الفكر الفلسفي لهذا التطوّر.

لذلك كلّه، انطوت هذه الفلسفة على دعوةٍ صريحةٍ إلى النهل من الينبوع الروحي مبدأً، وإلى اتخاذ التفكير العلمي منهجًا، وإلى الانصراف إلى العمل والإنسان والحياة موضوعًا وغايةً. وبالرغم من اختلاف رؤاها حول مستقبل الإنسان في هذا الوجود، إلاّ أنّها تتفق على **ضرورة** . ليس فقط . **إنقاذه من أزماته الراهنة،** بل وعلى اعتبار حلّ هذه الأزمات بمثابة ترياق[1] يحصن إنجازاته الحضارية القادمة من تكرارحدوثها.

[1]. دواءٌ يستعمل ضدّ السموم.

http://www.onefd.edu.dz
جميع الحقوق محفوظة ©

تطبيق : نص فلسفي

« فما معنى: كون الوجود يسبق الجوهر أو الفكرة المجرّدة؟

جون بول سارتر 1905–1980

إنّ ذلك يعني أنّ الإنسان يُوجد قبل كلّ شيىء ويظهرُ في الطبيعةِ والكون ومن ثمّ يُحدّد ويُعرف ... والإنسان كما تتصوّره الوجودية، ليس له في البدء أيّ وجود حتى يمكن تعريفه وتحديده، وإنّ هذا التعريف وهذا التحديد لا يصحّ وجودهما إلاّ بعد أن يكون الإنسان قد وُجد وعلى الشكل الذي يُوجد نفسه عليه ... .

الإنسان ليس فقط موجودًا كما يتصور وجودَ نفسهِ بل كما يريد وجود نفسه بعد أن تكون هذه النفس قد وُجدت. والإنسان خالقٌ لنفسه وحده متصور لها.

ذلك هو المبدأ الأساسي للوجودية، وهذا ما نسمّيه أيضًا

« الذاتية » وهو ما يُؤخذ علينا لأجل تلك التسمية ... .

وإنّ ما نريد أن نقوله من وراء هذا الاعتقاد أنّ للإنسان كرامةً أقوى من كرامةِ الحجر أو الطاولة. فنحن نريدُ أن نقولَ أنّ الإنسانَ موجودٌ قبل كلّ شيىء وهذا يعني أنّه قوّةٌ تتطلّعُ إلى المستقبلِ وهي تعني تمامًا أنّها تندفعُ نحو المستقبل. وما الإنسان قبل كل شيىء إلاّ مشروع يعيش بذاته لذاته ...

فإذا كان الوجود يسبقُ حقيقة الجوهر، فالإنسان إذن مسؤول عما هو كائن . فأوّل ما تسعى إليه الوجودية هو أن تعطي الإنسانَ وجهه الحقيقي، وأن تحمّله بالتالي المسؤولية الكاملة لوجوده ».

جون بول سارتر

الوجودية مذهب إنساني ص: 40

جميع الحقوق محفوظة ©
http://www.al-maktabeh.com

تطبيق: نص فلسفي

« فقولنا إن مصدر الالتزام هو الشخص، معناه أن المواقف والمشاكل التي تتوّلد عن تاريخنا، هي التي تملي كلّ التزام. فلا معنى للالتزام إلاّ إذا راعينا فيه، أولا، الواقع المجتمعي الذي يجعل الشخص هو ما هو: إننا نتحدث عن الالتزام، أمّا حقيقته، فالتاريخ مصدرها. فـ"بتشخصن" كينونتنا نندمج في التاريخ، قبل أن نتحمّله، بل إن الفعل الذي تقوم به الكينونة، للاندماج في التاريخ، ينقلها من الكائن– في – حالة – الظهور إلى كائن يزداد، شيئا فشيئا، التزامه واندماجه في حركة العالم. فالكائن في التاريخ قد صار الكائن . **مع** . الآخرين : إنه شخصية. و**الشخص هو الكائن الذي له مستوى الإنسان**، فهناك تجاوز لهذه الرابطة : الإنسان "كينونة" و"ملكية" في تأليف كيفي، لا تكتمل أبدا حقيقته بكيفية مطلقة».

محمد عزيز الحبابي[1]

الإنسان : وحدة الكائن والشخص

[1]. محمد عزيز الحبابي (1922 – 1993) فيلسوف وشاعر وروائي مغربي، تأثّربفلسفة "مونييه" ، فيلسوف الشخصانية، فأسّس لفلسفة الشخصانية الإسلامية أو الشخصانية الواقعية "فلسفة تحرير الفرد داخل عالم كلّي متحرّك"، كما يقول الحبابي. من أهم مؤلفاته: "من الكائن إلى الشخص" ، " حرية أم تحرر" و"الشخصانية المسلمة" .Le Personnalisme Musulman

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

وكمخرج من الإشكالية

هناك ما يدعو إلى الحديث عن فلسفات في صيغة الجمع وعن فلسفة في صيغة المفرد، نقول : **فلسفات** من حيث خصوصيات كلّ فلسفة، ونقول **فلسفة** من حيث وحدة الغاية. وقد لاحظت ؛ أخي الطالب؛ أن للفلسفة كيانًا محسوسًا وهي تجري مع الزمن وتستقرّ في أماكن عدّة من المواضع، فالفلسفة اليونانية قد أجابت عن تساؤلات الإنسان عن أصل الأشياء وطبيعتها و قيمة العمل الإنساني في مختلف مجالاته، وأنتجت لنا في ذلك نظمًا فكرية كبيرة كان لها أثرها على كلّ الفلسفات االلاحقة، وساهم في تشكيل الفكر الإسلامي عبقريات ثلاث : العبقرية الإسلامية وعبقرية الفلسفة اليونانية وعبقرية اللغة العربية باعتبارها لسان القرآن الكريم و**تميزت** بطرحها لقضية التوفيق بين الفلسفة والدين وبين الحكمة والشريعة. وما ميّز الفكر الفلسفي الحديث هو تجاوز سلطان الفكر التقليدي الذي سيطرت عليه الفلسفة الأرسطية التي تبنّتها الكنيسة، وأخذ هذا الفكر بمرجعية جديدة مرجعية العقل والتجربة، وتمكّن من تحرير وعي الإنسان وتنويره وتغيير واقعه الإجتماعي، وتحقيق ثورة معرفية عكست التطور الهائل للعلم بنظرياتهو كشوفاته فضلا عن تطبيقانه. وقد حملت الفلسفة المعاصرة انشغالات الإنسان في الوجود وفتقت به قريحته الروحية الفلسفية والدينية، فرجعت به تارةً إلى الوعي المباشر بذاته المتأصلة، وتارة أخرى إلى متطلبات الواقع العملي وما يقتضيه من ضرورة مواكبة تطورات العلم و مقتضيات العمل.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ومنة حيث **وحدة الغاية** نجد أن كلّ الفلسفات[1]حصرت تطلعاته إلى غاية مشتركة وهي **الحقيقة الأولى** : تمثلت هذه الحقيقة الأولى في الفكر اليوناني أولا في العلل الخارقة المفارقة للأشياء و ثانيا في المبدأ الواحدسواء كان مادّيًا (العناصر الأربعة) أو مجرّدًا (العدد[2] أو العقل أو الله أو الصانع أو سبب الأسباب)، وفي البحث عن الفضيلة و السعادة مع مختلف الأشياء في أحضانِ عالمٍ منسجمٍ جميلٍ. أمّا الحقيقة الأولى لدى مفكري الإسلام تمثّلت في الله الواحد الأحد الذي يسبِّح له كلّ ما في السماوات والأرض وتتوق إليه كلّ الكائنات ونسعى في كلّ نشاطاتنا وجهودنا إلى التقرب إليه والفوز برضاه. وهذه الحقيقة لمسها فلاسفة العصر الحديث تارةً في **العقل الخالص**، وتارة في **التجربة** الحسية، وتارة **فيهما معًا**؛ وتتجلّى هذه الحقيقة في **مبدأ الوجود**؛ أي الوعي بالذات أوّلاً وقبل كلّ شيىء، وفي تقديس البعد الروحي في الإنسان تارة وفي الاحتكام إلى الواقع لتثبيت الذات واستمرار الوجود تارة أخرى.

إنّ تاريخ الفكر الفلسفي هو تاريخ الجهد الإنساني والتراث العالمي وهوإنتاح إنساني يعتنق كلّ القيم الإنسانية العالمية، فهو مهما كان المرآة العاكسة لثقافة أمّة من الأمم وعصر من العصور، تراث فكري مشترك بدليل أنّ كلّ مبدعٍ في هذا الحقل الفلسفي يرث ممن سبقه ويجتهد ليمنح ما أضافه لمن يلحقه لأنه

---

[1]." إنّ أعلى الصناعاتِ الإنسانية منزلةً و أشرفها مرتبةً صناعةُ الفلسفةِ التي حدّها علم الأشياء بحقائقها بقدرطاقة الإنسان" .الكندي ، رسالة في الفلسفة الأولى.

[2]. اعتقد "فيثاغورس" و أتباعه أنّ العالم يتألّف من النسب العددية، من الامتزاج بين عشرة أزواج متضادة أو مختلفة : المستقيم وغير المستقيم، المذكّر والمؤنّث، الساكن والمتحرّك .... ، والعدد عندهم، هو مبدأ التناسق في الكون.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ملك عالمي مشترك يحمل انشغالات الناس ويرقى بها إلى العالمية إلاّ أنّ هذه العالمية، قد تمنح الأقوى من الفرص ما يجعل فلسفات الدول المتقدّمة تفرض نمطها على غيرها من الفلسفات، فتؤثّر على مسار ثقافات وتوجّهات إيديولوجية ليس لها من خيار سوى الرضوخ، خاصة في الفكر المعاصر. وعليه، فإنّ التراث الفلسفي العالمي، ليس بعيدًا في مفهومه عن التراث الأكثر تواجدًا والأقوى تأثيرًا.

تذكير بأهم الكفاءات :

إنّ الذي تابع تحليل **إشكالية تاريخ الفلسفة** بمختلف مراحلها (اليونانية، الإسلامية، الحديثة والمعاصرة) يكون قد توصّل إلى **التعبير عن المعرفة في شمولياتها** (اكتشاف مواطن الإبداع والخلق عند الآخرين ؛ تقدير التأمّل والمعتقد ؛ تقدير الروح النقدية ؛ تقدير الإنسان والحوار)، وهي كفاءة **تمكّنك** ؛ أيّها الطالب ؛ **من تخطي الحدود الزمانية والمكانية** لاعتناق الفكر الإنساني الواحد، على تنوّع مشاربه وتعدّد تصوراته. وهو الأمر الذي ييسّر الحوار بين الناس ويعدّ أسباب تلاقح توجّهاتهم ومعتقداتهم .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

(تابع) طرائق معالجة المقالة الفلسفية

طريقة المقارنة : .

المحطات الثلاث	طريقة المقارنة
طرح المشكلة	احتمال وجود مواطن تشابه بين طرفين مختلفين.
محاولة حل المشكلة	مواطن الاختلاف ؛
	مواطن الاتفاق ؛
	طبيعة العلاقة بينهما.
حل المشكلة	الفصل في المشكلة موضوع المقارنة.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تدريب : . إذا كنّا في الاستقراء ننتقل من الخاص إلى العام، وفي الاستنتاج ننتقل من العام إلى الخاص، وفي الحالتين الغرض واحد وهو بناء المعرفة. فكيف ترى العلاقة بينهما ؟

طرح المشكلة

مسلمة : ينشئ العقل المعارف بالحدس والاستدلال. ومن أهم صور الاستدلال الاستنتاج والاستقراء.

إبراز التعارض : إذا كان الاستنتاج حركة عقلية من الكل إلى الجزء و الاستقراء عكسها من الجزء إلى الكل

صياغة المشكل: هل يعني هذا أنهما لا يتشابهان؟ و هل كونوهما متمايزين يعني أنهما منفصلان بالضرورة؟

محاولة حل المشكلة :

أوجه الاختلاف

- الاستنتاج يعطي نتيجة لازمة بالضرورة أما الاستقراء نتائجه غير ضرورية
- ينطلق الاستنتاج من مسلمات عقلية أما الاستقراء ينطلق من ملاحظات تجريبية.
- إذا صدقت مقدماته كانت نتائجه صادقة أما إذا صدقت مقدماته كانت نتائجه ظنّية.
- يستند إلى قوانين المنطق الصوري أما يستند إلى قوانين النطق المادي.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

- يقول غوبلو : " الاستنتاج هو الاستدلال الذي يبرز ضرورة علاقةٍ ما، والاستقراء يبرز أن هذه العلاقة ثابتة ".

أوجه التشابه :

- كل من الاستنتاج والاستقراء نشاط عقلي؛
- كلاهما ضروري في بناء المعرفة؛
- كلاهما يستند إلى جملة من القوانين والقواعد المنطقية.

أوجه التداخل :

- بين الاستقراء والاستنتاج تكامل؛
- إن الاستنتاج يعتمد على الاستقراء، والاستقراء يحتاج إلى الاستنتاج.
- **مثال** : إن التلوث يعرض سلامة النبات والحيوان والإنسان إلى الخطر (قضية كلية مثبتة استقرائيا) يمكن أن نستنتج منها أن سكان هذه المدينة وحيواناتها ونباتاتها أكثر تعرضا للخطر بسبب ارتفاع نسبة التلوث بها.

حل المشكلة :

استنتاج : يتضح من التحليل السابق أننا في العلم وحتى حياة الناس الناس العادية عندما نستدل إذا استقراءنا نحتاج إلى الاستنتاج و إذا استنتجنا نحتاج إلى الاستقراء

موقع المشكلة : فالاستنتاج والاستقراء لا يختلفان في التعريف ويتداخلان في الممارسة.

الإجابة : وعليه فهما متمايزان لكنها غير منفصلين.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©